السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الأزمة السورية 2011-2018م

الدكتور خيام محمد الزعبي
مدّرس في كلية الاقتصاد- جامعة الفرات

الملخص:

إن العلاقات السورية الإيرانية ينظر إليها كنموذج يحتذى به على صعيد المنطقة , حيث يرتبط البلدان بعلاقات سياسية واستراتيجيةوثيقة منذ قيام الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979 , ويواصلان العمل بدأب لترقية العلاقات الاقتصادية والثقافية والعلمية كي تواكب مسار العلاقات السياسية القائمة بينهما .

ومع بداية الأزمة في سورية وصلت علاقات البلدين إلى حالة من العمق الاستراتيجي نتيجة الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي الإيراني للحكومة السورية في حربها ضد التنظيمات الإرهابية المسلحة، فالموقف السياسي الحاسم والمؤيد الذي تقفه إيران إلى جانب سورية، وهو موقف لم يتغير، ولم يتبدل منذ بداية الأزمة السورية، وقد وظفت إيران مجمل علاقاتها في كل الميادين السياسية والدبلوماسية والاقتصادية وفي المستويات كافة لتدعيم هذا الموقف وإسناده.

الكلمات الأساسية : السياسة الخارجية – الشرق الأوسط – الأزمة –الدور – التحالف

المقدمة:

منذ بداية الأزمة السورية عام 2011م، وبخلاف باقي دول التحولات العربية كانت هذه الأزمة الأسرع في تحديد الموقف الإيراني حيالها،حيث بادرت إيران بإعلان دعمها للدولة السورية، ومحاربة القوى المتطرفة والمجموعات المسلحة، ورفضت التدخل الخارجي في الشأن السوري، وبذلك أصبحت إيران الفاعل الرئيسي في حل الأزمةالسورية، حيث أن مؤتمرات جنيف التي كانت تعقد من أجل حل الأزمة كانت إيران هي الطرف المؤثر، ولعبت الخارجية الإيرانية دور كبير في القول بأنه لا حل سياسي في سورية إلا بعد القضاء علي الإرهابوازداد الدعم العسكري الإيراني في سورية بالإضافة إلى دعم روسيا وحزب الله لسورية.

وانطلاقاً من ذلك كانت العلاقات السورية الإيرانية محط اهتمام ومتابعة من القيادتين السورية والإيرانية لجهة تقويتها وتطويرها وصولاً إلى إنجاز متطلبات ما تقتضي به عملية الوصول إلى علاقات استراتيجية بين الدولتين.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الموضوع محل الدراسة في كونه يركز على مجال مهم لدى باحثي ودارسيالعلاقات الدولية وهو مجال السياسة الخارجية للدول الكبرى، ولما كانت إيران أحد القوى المهيمنة في النظام الدولي فإنه سيساعدنا ذلك في تحديد سياساتها الخارجيةتجاه الأزمة السورية وفهم حقيقة دوافع هذا التوجه والأهداف المرجوة منه، كماسيساعدنا أيضاً على فهم واقع الأحداث التي تمر بها منطقتنا حالياً ، ومحاولة تحليلها والتعرفعلى خلفياتها وآفاقها، وتوضيح السياسة الخارجية الإيرانية تجاه المنطقة .

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

إن مشكلة الدراسة تكمن في التحولات الجديدة للسياسة الخارجية الإيرانية تجاه منطقة الشرق الأوسط والعوامل التي أثرت فيها، وهذا الجدل أثار التساؤل التالي:

ماهي توجهات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الأزمة السورية منذ عام2011مولغاية عام 2018م؟ ويتفرع عن هذا التساؤل العديد من التساؤلات الفرعية التالية:

– ما هي الوسائل المستخدمة من قبل إيران في إدارتها للأزمة السورية؟

–ما هي توجهات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الأزمة السورية منذ عام 2011م؟.

–ما هي السيناريوهات المتوقعة حول الأزمة السورية؟.

فرضيات الدراسة:

من خلال الإشكالية المطروحة تم وضع الفرضيات التالية:

– كلما تعاظمت المصالح الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط كلما تزايد دعم السياسة الخارجية الإيرانية لقضايا هذه المنطقة "سورية".

– بقدر ما اعتبرت إيران الأزمة السورية ذات بعد استراتيجي لأمنها القومي بقدر ما أدىهذا إلى تمسكها بالحل السلمي لهذه الأزمة.

الإطارالزماني والمكاني للدراسة:

الفترة الزمنية للدراسة محددة منعام 2011م إلى 2018م،وتشمل السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الأزمة السورية ومستقبل العلاقات بين البلدين.

منهجية الدراسة:

استخدمالباحثاقترابتحليلالنظمعلىاعتبارأنهأكثرالاقترابات ملائمةلهذهالدراسة، كما استعان الباحث بمنهج صنع القرار على اعتبار أن صانعي السياسة هم الوحدة الأساسية في التحليل السياسي.

تمهيد:

تشكل العلاقة السورية الإيرانية واحدة من أقوى علاقات الدعم والإسناد في تاريخ الشرق الأوسط الحديث[1] ،فلم تشهد المنطقة وربما العالم كذلك تحالفاً بثبات العلاقة السورية الإيرانية وبقدرتها على التطور والتحرك في ظروف عاصفة ومتغيرة على الرغم من الاختلافاتالإيديولوجية والسياسية[2] , لذلك فإن خصوصية العلاقات السورية

الإيرانية , والتي تحولت إلى تحالف استراتيجي بين البلدين يشكل حجر الزاوية في السياسة الخارجية الإيرانية[3] .

في هذا السياق تؤكد إيران باستمرار على علاقاتها الاستراتيجية مع سورية لما يربط بين البلدين من روابط تاريخية ومصالح مشتركة, وهي تقف دائما مع سورية لمواجهة ما تتعرض له من حرب كونية لإدراكها التام بأن ما يجري هو مؤامرة دنيئة ترمي من ورائها الدول الداعمة للإرهاب لإعادة تقسيم المنطقة من جديد وفقا لمصالحها الاستعمارية[4] ، فما جمع بين الدولتين من تطلعات وأهداف قريبة وبعيدة قد نقرأه في وجود عدو مشترك له أهداف معلنة تستهدف الحق الإنساني والوجود.

واليوم يقف محور المقاومة الذي تشكل حول نواته السورية الإيرانية قوة فاعلة وحاسمة في معادلات المنطقة والعالم وهو يشهد على أرض سورية تجربة تاريخية في تكامل القدرات وإعادة صياغة المعادلات الكبرى وهي تجربة تتعزز بنسق من التحالفات الدولية المهمة العابرة للحدود القارية اقتصادياًواستراتيجياً، وبالتالي فان سياسية التحالف تعني الاعتماد على الأحلافكأداة من أدوات السياسة بهدف حماية الأمن القومي لهذه الدول والدفاع عن مصالحها الوطنية , وحسب نظرية العلاقات الدولية تنشأ التحالفات بين الدول لردع الأعداء، والتحالف السوري الإيراني لا يخرج عن هذا الإطار النظري للتحالفات الدولية[5] .

أولاً: آلية صنع القرار في إيران :

أن معظم الباحثين بالشأن الإيراني يتفقون على أن إيران دولة مؤسسات تقوم كل مؤسسة فيها بممارسة صلاحياتها واختصاصاتها بينما يتبوأ مرشد الثورة الإسلامية موقع رأس الهرم من خلال موقعه الذي يتيح له إمكانية التوجيه والتصويب والإرشاد، كما يتفقون على أن آلية صنع القرار هي آلية معقدة وتبدو أحياناً بطيئة وتمر بمسار طويل حتى يصل القرار إلى مرحلة التنفيذ، ونوه إلى أن هذه الآليات تشكل نوعاً من الضمانة لاستمرار النهج والخيارات التي تحددها وترسمها قيادات البلد، وذلك على الرغم من وجود أطياف محافظة وأطياف واتجاهات إصلاحية وليبرالية أو ذات طابع

قومي، إلا أن آلية القرار تحول دون إحداث انعطافات أو تغييرات حادة في التوجهات[6].

ثانياً: توجهات السياسة الخارجية الإيرانية:

التي يمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

ـ رفض الهيمنة: وهو أحد أهم مبادئ السياسة الخارجية الإيرانية، إذ تعتقد إيران أن العلاقات بين الدوليجب أن تخلو من أي هيمنة وتسلط لطرف على الآخر، وعليه فإن إيران ترفض الخضوع لأي هيمنة من أي دولة أتت، كما ترفض بدورها الهيمنة على أي دولة في المنطقة.

ـ طلب الحق ورفض الظلم والغطرسة: وتحت هذا العنوان يندرج التصدي لمخططات الاستكبار العالمي والظلم الذي يطاول الشعوب المسلمة وغير المسلمة في أنحاء العالم.

ـ الدفاع عن المستضعفين: وذلك يكون من خلال أسلوبين، عبر المواجهة المباشرة مع المستكبرين الذين تسببوا باستضعاف الشعوب، أو عبر الدفاع عن المستضعفين في الأروقة السياسية والدبلوماسية.

ـ الدفاع عن المسلمين ودعمهم: فسياسة إيران الخارجية التي تعتمد على الأصولالإسلامية ملزمة بالاهتمام بشؤون مسلمي العالم والدفاع عن حقوقهم[7].

ـ التعايش السلمي: لقد بنت الجمهورية الإسلامية الإيرانية سياساتها الخارجية على مبدأ السلام والتعايش مع الدول المجاورة انطلاقاً من المبادئ الإسلامية.

ـ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وإرساء العلاقات الثنائية على أساسالاحترام المتبادل، فالجمهورية الإسلامية تعتقد بأن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى يتسبب بحالة من التوتر قد تؤدي لاحقاً إلى حروب بين الدول.

ـ الالتزام بالمعاهدات والقوانين الدولية: فالجمهورية الإسلامية الإيرانية عضو فعال وأساسي في المجتمع الدولي يلتزم القوانين والمعاهدات والاتفاقيات الدولية"[7].

ثالثاً: محددات العلاقات السورية الإيرانية :

يوجد بين سورية و إيران علاقة قوية جعلتها تختلف عن غيرها من علاقات إيران بالدول العربية الأخرى, حيث يوجد بين البلدين تحالف استراتيجي منذ الحرب الإيرانية العراقية ، و كانت العلاقات ضرورية بين البلدين من الناحية السياسية ، و ذلك نظرا للعدو المشترك تجاه إسرائيل[8]

وهنا يمكننا أننحدّد خصوصية العلاقات كما يلي:

-إيرانتقدر العلاقة مع سورية، كونها تسهل لها الاتصالات مع العالم العربي ، فسورية تشكل لإيران مدخلا مهما للمنطقة .

-تلعب سورية دورا مهما في العلاقات الإيرانية مع حزب الله, وهذا يعني إن أي خلل في العلاقات السورية الإيرانية ستؤثر سلبا في العلاقات الإيرانية مع حزب الله .

-هناك عامل مشترك في غاية الأهمية يجمع كل من سورية وإيران، وهو السياسة الأمريكيةالإسرائيلية المعادية لكلا البلدين في المنطقة .

-بقاء سورية الجبهة الوحيدة الممانعة لإسرائيل في المنطقة، وهذا يشكل عاملا مهما لإيران من اجل إيجاد منفذ لها في الصراع العربي الإسرائيلي.

-وسط الضغوط على سورية من طرف إسرائيل، وإيران من جهة الولايات المتحدةالأمريكية، اتفق البلدان على دعم حركات المقاومة خاصة في لبنان وفلسطين[9].

-ترى سورية في إيران حليفا استراتيجيا ، لا سيما في ضوء الظروف الدولية الراهنة.

-التحالف السوري الإيرانيأعطى السوريين قوة إقليمية ، حيث إنّإسرائيل باتت تتحدث علنا على إنها تريد فك التحالف السوري الإيراني عبر مفاوضات مع دمشق خاصة بعد التخوف من القدرة العسكرية المتنامية خصوصا بعد التجربة الإسرائيلية في جنوب لبنان مع حزب الله عام 2006 ،والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة عام 2009 .

-ففي حصار سورية دبلوماسيا وخاصة بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري في عام 2005 ،حيث أكدتإيران دعمها لدمشق في وجه كل الضغوط التي مورست ضد سورية .

–بعد الحرب الإسرائيلية على لبنان واستهداف حزب الله والعدوان على غزة لم يقم بزيارة دمشق سوى مسئولونإيرانيين وذلك لتأييد دمشق على مواقفها من المقاومة ضد الاحتلال و التأكيدعلى الرؤى المشتركة بين البلدين فيما يتصل بالقضية اللبنانية و الفلسطينية[1].

–أثناء الأحداث التي رافقت ما سمي بالربيع العربي كان للبلدين فهم مشترك ونظرة متقاربة حول خطورة هذه الأحداث وارتباطها بالخارج.

–في السنوات الأخيرة التي شهدت أساليب ووسائل وأدوات إرهابية جديدة لضرب شعوب المنطقة ودولها من خلال استخدام الفكر التكفيري المتطرف وتركيز جهود الأجهزة السرية الإسرائيلية والأمريكية وبعض الدول الغربية لتجنيد المرتزقة والمأجورين من كافة أنحاء العالم لقتل شعوبها وتهديم دولها وكياناتها الوطنية، أثبتت هذه العلاقات من جديد قدرتها على مواجهة التحديات والتهديدات التي تستهدف أمن سورية وأمن المنطقة برمتها والعالم بأسره في مواجهة الإرهاب الذي يهدد الجميع.

وبذلك فان هذهالأحداث برهنت على هذه العلاقة إلى حد ما،على إنها أكثر ثباتا واستمراراً من أي علاقة أخرى بين دول المنطقة.

في هذا السياق فإنمرتكزات التحالف السوري الإيراني تقوم على أساس حماية أمنهما المهدد ، سواء من جهة العراق الذي ترابط فيه القوات الأمريكيةأو من جهة لبنان الذي أجبرت سورية على إخراج جيشها في مارس عام 2005 , والتي تتخوف من أن تتحول إلى بلد معاد لها بعد أن كانت درعا لها ضد إسرائيل خاصة إن هناك أطرافا لبنانية قد أعلنت الحرب علنا على النظام السوري القائم على خلفية اتهامه بقتل الحريري وعدد من الشخصيات اللبنانية الأخرى [11] .

فضلا عن ذلك فإن إيران الطامحة نوويا و المهددة أكثر من أي وقت مضى لإمكانية تعرضها لضربة إسرائيلية خاطفة لبنيتها النووية أو من قبل الولايات المتحدة الأمريكية , حيث تحتاج إلى الحفاظ على النظام السوري الحالي المتحالف معها و الذي أعلن التزامه الايجابي اتجاه حزب الله اللبناني وحقه في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي , وحقه في تعزيز دوره في الشأن اللبناني الداخلي .

كما إن سورية لن تجد بلدا أكثر من إيران للوقوف إلى جانبها في حال تعرضها لهجوم إسرائيليأوأمريكي , مع الأخذ بعين الاعتبار التصريحات الإيرانية التي صدرت في أكثر من مناسبة وعلى لسان أكثر من مسئول حتى إن الرئيس الإيراني احمدي نجاد قال في إحداها في يناير عام 2007 ،إنّأمن سورية من أمنإيران[12].

وفي محور الانعكاسات الإيجابية للعلاقات السورية الإيرانية على المنطقة، فمن خلال الأسس التي ارتكزت عليها العلاقات السورية الإيرانية والأهداف المتوخاة منها فهي تعبير عن مصالح وأهداف وتطلعات شعوب المنطقة، سواء ما يتعلق بتحررها أو استقلالية قراراتها الوطنية، أو ما يتعلق بثرواتها الوطنية، أو ما يتعلق بالقضية الفلسطينية ودعم مشروع المقاومة، أو ما يتعلق بمواجهة الإرهاب والتطرف والفكر التكفيري الذي عمل دائماً على خلق الأعداء للأمتين العربية والإسلامية .

وبذلك تتميز العلاقات السورية الإيرانية بخصوصية فريدة من نوعها في زمن تتشابك فيه المصالح ، وتغيّرها تبعاً للاحتياجات الوطنية ، فقد استطاعت كل من دمشق وطهران بناء تحالف دائم على أساس المصالح في منطقة الشرق الأوسط ومعارضتهما لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية والإسرائيلية التي تسعى إلى السيطرة على المنطقة العربية بأكملها ونهب ثرواتها[13].

رابعاً: المساعي الأميركية الإسرائيلية لفك التحالف السوري الإيراني :

بعد انتهاء حرب الخليج،بدأت تظهر على السطح الأمريكي بوادر الانزعاج من تنامي وتطور العلاقات السورية الإيرانية ، ومعها بدأت تتوالى التصريحات الأمريكية الناقدة لهذه العلاقة المتميزة، وحددت الولايات المتحدةالأمريكية قضايا معينةاعتبرتهاأساسا لتوتير علاقاتها مع سورية، وكانت إيران طرفا فيها،بالإضافةإلى حزب الله، حيث تأخذ واشنطن على كل من دمشق وطهران دعمهما لحزب الله الذي تعتبره منظمة إرهابية يجب تفكيكها، وطالبت الولايات المتحدة سورية صراحة بوقف دعمها لحزب الله وسعت إلى ذلك دبلوماسيا، فاستصدرت من مجلس الأمن بالتعاون مع فرنسا القرار رقم 1559 الذي يتماشى مع الرغبة الإسرائيلية لنزع سلاح حزب الله،

ووقف التحالف السوري الإيراني له ليست جديدة، ولكن قد يكون الجديد هو اتساعدائرة الفهم لأسباب المخاوف الأميركية من دعم البلدين لهذا الحزب، خاصة بعد فشل المشروع الغربي وأهدافه في المنطقة[14].وهنا يمكن القول ،قد تزداد الأهميةأو قد تقل لقضية أوأكثر من القضايا السابقة والتي تعتبرها الإدارةالأمريكية نقاط استفزاز لها في مسيرة العلاقات الثنائية بين سورية وإيران ،وهذا لا يمكن فهمه بعيداً عن النظر إلى كل قضية من هذه القضايا منفردة أو مجتمعة ضمن المنظور الاستراتيجي لمنطقة الشرق الأوسط الكبير الذي تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على تسوية الأرض وتمهيد العقبات فيه لكي تسير العربة الأمريكية بدون مشاكل أو عراقيل[15] .

ومن خلال ذلك طرحت الولايات المتحدة الأمريكيةأفكار متعددة بالعلاقات السورية الإيرانية كان أبرزها فكرة تفكيك العلاقات السورية الإيرانية، فعلى الرغم من إنّ هناك العديد من الباحثين الأمريكيين من مراكز الأبحاثالأمريكية عملوا على البحث عن العوامل التي تساعد على تطبيق هذه العلاقةولو بشكل كسر تحالف مصلحي ظرفي يرون انه قائم بين النظام السوري و النظام الإيراني[16].لذلك بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بالتلويح لما يعتقدون بأنه الحلقة الأضعفسورية" وذلك بإقناعها عبر دول عربية بالتخلي عن حزب الله ، بهدف تحييد دمشق، ومحاصرة إيران لرسم ملامح الشرق الأوسط الكبير، واعتقدت الإدارةالأمريكيةإن ذلك ممكن عبر تقديم بديل مصلحي أفضل لسورية من طهران , حتى من دون أن تتكلم علانية عن حزمة الإغراءات لسورية، وذلك بسببغياب أي سياسة أمريكية واضحة حيال سوريةأوإيران , أو الحالة المعاكسةتماما[17].

وبالتالي فإن سورية وإيران وبتأثير دوافعهما حول معاداة إسرائيل والهموم الاستراتيجية والتهديدات الأمريكية والاختلال في النظام العربي والهجوم الشرس من قبل النظام الدولي على منطقة الشرق الأوسط، وتحويل هذا الأخير إلى سلعة بيد القوى العظمى،هذه المعطيات ولدت شعورا لكلا البلدين بأنهما مستهدفتان، وهذا ما دفعهما للبحث عن وسائل مناسبة لتحقيق أهدافهما وحماية أمنهما. ومن هنا فإن سورية وإيران تجدان منفعةمشتركة في تنمية العلاقات بين البلدين.فالتحالف السوري

الإيراني إذن هو استجابة لمثير عدواني وكرد فعل على نية عدوانية مفترضة من جانب قوى إقليمية أو دولية[18].

فلا مجال للشك إذن أنه طالما بقيت الدوافع التي تعزز العلاقات السورية الإيرانية على حالها لا يمكن فك عرى التحالف بين البلدين، بمعنى آخر إن المكاسب التي تجنيها سورية عبر تحالفها مع إيران، في ظل الواقع الإقليمي والدولي الراهن، تفوق العائدات التي تجنيها سورية عبر فك تحالفها مع إيران، والنتيجة هي استمرار التحالف بين سورية وإيران وليس العكس[18].

وبالتالي فإن إيران ومن خلال معرفتها بالمخاطر التي يمثلها الإرهاب ومشغلوه في المنطقة والعالم ضد الدولة السورية وضد نهجها المقاوم وضد المنطقة برمتها أكدت من جديد على لسان السيد علي الخامنئي مرشد الثورة الإسلامية الإيرانية دعمها ومساندتها للصمود البطولي للشعب السوري وجيشه والوقوف إلى جانبه لقناعتها بأن انتصار سورية على الإرهاب هو انتصار لشعوب المنطقة برمتها وانتصار للعالم بأسره، لاسيما وأن التحالفات الاستعراضية التي أعلن عن تأسيسها لمواجهة الإرهاب في الحقيقة لم تحقق أية نتائج حقيقية في هذا المجال، بل شكلت ببعض مواقفها وممارساتها سنداً ودعماً للإرهابيين.

خامساً: السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الأزمة السورية:

استطاعت العلاقات السورية الإيرانية في العقود الثلاث الماضية أن تستمر بالنمو والتطور، وبقي محافظاً على مستوى من المصداقية والثبات حتى بداية الأزمة السورية في آذار من عام 2011م، عندما تبين حجم المؤامرة الخارجية على الدولة السورية وعندما وُضعت المقاومة وإيران من ضمن هذه المؤامرة ، لذلك تبدلت طبيعة العلاقات والمواقف وتطورت دراماتيكياً في الطريق التنسيق بين الدولتين ليُشكلا وحدة واحدة في التصدي لهذه المؤامرة.

وانطلاقاً من ذلك تسعى إيران إلى الحفاظ على دورها كطرف أساسي في حل الأزمة السورية، إذ تعتبر من أكثر الدول الداعمة للحكومة السورية على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وكان من أهم الدلالات التي دفعت

المجتمع الدولي الى إشراك إيران في الجهود الساعية إلى حل سياسي في سورية تتمثل بـ:

–حرص إيران على طرح مبادرة لتسوية الأزمة السورية، إذ ركّزت على وقف إطلاق النار وتشكيل حكومة وحدة وطنية، فضلاً عن التنسيق في مجال مكافحة الإرهاب، وتمهيد الطريق أما إجراء حوار سوري –سوري بهدف التوصل إلى توافق سياسي وتحقيق المصالحة الوطنية.

– سعي إيران إلى القضاء على الإرهاب وخاصة محاربة تنظيم داعش بكل قوة والتعاون مع كافة الدول في مختلف المستويات للقضاء على هذا الوباء، فضلاً عن المشاركة في التحالف دولي جديد للحرب ضد تنظيم داعش ومنح الأولوية لمحاربة الإرهاب، وربما محاولة إقناع الدول الغربية بإمكانية التعاون بين الطرفين في مجال تبادل المعلومات الاستخباراتية عن المقاتلين الأجانب في سورية.

وبالمقابل يمكن تفسير الاهتمام بالانخراط في الجهود السياسية الخاصة بالأزمة السورية في ضوء عدة عوامل وأهمها:

–تبني دبلوماسية إقليمية لتعزيز مكانة إيران ولا سيما بعد الوصول إلىالاتفاق النووي مع مجموعة" 5+1" وإظهار مدى استعداد طهران للمشاركة في الوصول إلى تسويات للأزمات الإقليمية المختلفة ، مقابل تحقيق مكاسب أخرى، على غرار كسر العزلة التي فرضت عليها لعقود طويلة.

–ظهور اتجاهات عديدة تشير إلى ضرورة الحذر من التداعيات داعش والمجموعات المسلحة على الإقليم، والذي ربما يفرض تداعيات غير جيدة على مصالح إيران في المنطقة[19] .

هنا تشهد العلاقات الإيرانية السورية في الوقت الحالي اختبارا جديدا لقياس مدى صلابتها أمام التحديات التي تواجه الدولتين في منطقة الشرق الأوسط. وربما يعد هذا الاختبار أكثرهم صعوبة وتعقيدا، ففي الوقت الذي تواجه فيه الحكومة السورية القوى المتطرفة والمجموعات المسلحة" جبهة النصرة وداعش"، واللتان استغلتا الحرب على سورية حتى تكون جزءا من معادلة الأزمة السورية، في هذا الإطار، يأتي الحديث عن

مدى أهمية إيران للملف السوري في إطار ما تواجهه من تحديات، وهو الأمر الذي يدفع العديد من الخبراء والباحثين لتبيان طبيعة الدور الذي تلعبه إيران في دعم الدولة السورية، وما يسفر عنه هذا الدور على المستوى الاقتصادي والسياسي الإيراني.

سادساً:سورية وإيران: مواقف ثابتة ومعطيات جديدة:

لقد اتضح للقيادة الإيرانية أن التدخل الصهيوأمريكي والرجعي العربي والإقليمي في الشأن السوري قد جاء استكمالاً لما عُرف بالربيع العربية كمحاولة مدروسة ومنظمة لإسقاط وتدمير الدولة الوطنية السورية وإقامة إمارات إرهابية متعددة، لذلك كان الموقف السياسي الإيراني موقف حاسم ومؤيد للدولة السورية، وهو موقف لم يتغير، ولم يتبدل منذ بداية الأزمة السورية، وقد وظفت إيران مجمل علاقاتها في كل الميادين السياسية والاقتصادية وفي المستويات كافة لتدعيم هذا الموقف وإسناده[20] ، وفي هذا الإطار تنظر إيران إلى الحرب الدائرة في سوريا ودعمها لنظام الأسد على أساس أنها حرب بالوكالة ضد الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وكذلك الدول الغربية، حيث تعد إيران نفسها "محور المقاومة" ضد الغرب وهذا سبب تحالفهم مع النظام السوري وحزب الله اللبناني، ولكنه ليس الوحيد، ونعرض ذلك فيما يلي:

أولاً: محور المقاومة:

ترى طهران أنها من أهم داعمي محور المقاومة في منطقة الشرق الأوسط، حيث تقف كعقبة أمام توسع النفوذ الغربي – الإسرائيلي، كما ترى أن دعمها للدولة السورية هو العمود الأساسي لهذا المحور، والذي متى فقدته سينفرط عقد المقاومة .وتعتبر سورية قناة إيران في تمرير الدعم المالي والعسكري إلى الفصائل التابعة لها في لبنان " حزب الله "، والذي يمثل أوراق ضغط في وجه إسرائيل[21].

ثانياً: الوضع التفاوضي مع الغرب:

تفرض اليوم إيران نفسها كلاعب رئيسي في المنطقة، ولاسيما بعد أن استطاعت تغيير الموقف الأميركي بشأن برنامجها النووي، وجعلت من المفاوضات ممراً إجبارياً وطريقاً وحيداً للتوصل إلى تسوية مع الأطراف التي تعارض امتلاكها التقنية النووية للأغراض السلمية ، كما تسعى إيران في دعمها لسورية إلى تقوية وضعها على طاولة

المفاوضات حول ملفها النووي، وهو الأمر الذي من شأنه تحقيق مكاسب تفوق سياسة الحياد تجاه الأزمة السورية، حيث أن سيطرة الغرب على ما يحدث في سورية ستكون نتيجته إحاطة إيران على المستوى الجيوسياسي، وإجبارها على شروط الاتفاق النووي[22].

سابعاً: إسرائيل وتنظيم داعش وأدواته في المنطقة:

إن ما تتعرض له إيران لا يقل خطورة عن ما تواجهه سورية، إنه الإرهاب الذي يستهدف قدرات البلاد، في إطار ذلك فإن ظهور "داعش" أحيا روح اتفاقية الدفاع المشترك بين سورية وإيران، وقد عكست تصريحات الرئيس الإيراني التي أكد فيهابوضوح على ارتباط الأمن القومي الإيراني بوحدة الدولة السورية، ودعا إلى احترام وحدة أراضيها، وعدم تقسيمها أو تفتيتها، لأن تقسيم سورية وبجوارها العراق المقسم لن تعيش إيران في أمان، ولن تستقر الأوضاع بأي شكل من الأشكال.

إن ما يجري اليوم في المنطقة العربية هو مسار جديد من مشروع الولايات المتحدة، ويتم تنفيذه بواسطة إسرائيل والجماعات التكفيرية، وذلك لرسم خريطة جديدة في هذه المنطقة، فالذي يسلح ويدرب ويوجه عبر الأقمار الصناعية الإرهابيين لتدمير سورية والعراق وقتل شعبيهما هو نفسه الذي يسلح ويحارب مع الجيش الصهيوني ويقتل الفلسطينيين، وأمريكا تنفذ هذا المخطط الإستراتيجي عن طريق صنيعتها داعش تحت عناوين متعددة .وبالمقابل تبدو طهران وكأنها في طور إعادة ترتيب أوراقها واستعادة المبادرة، على أساس ثوابت ليستقابلة للمساومة، ويمكن تلخيصها بأن سورية خط أحمر، ولن تسقط في قبضة المشاريع المعادية، ومن يحاول العبث بهذه المعادلة لا يدرك الأهمية الحيوية لهذا البلد في الحسابات الإيرانية.بمعنى إنّداعش بالنسبة لأمريكا هي فزاعة تخوف بها دول المنطقة، كما أن أمريكا تأخذ داعش ذريعة لدخول دول ثانية، فهي تريد أن تقضي على محور المقاومة لتحقيق أمن إسرائيل .وانطلاقاً من ذلك فقد رأت القيادة الإيرانية إنه من الضروري، بل ومن الواجب الوطني الإيراني حماية الدولة السورية أولاً والانتصار على الإرهاب ثانياً والمتمثل بالعصابات الإرهابية تحت مسميات زاد عددها عن الألف مسمى.

أولاً: على المستوى الاقتصادي:

على الرغم من أن الاعتبارات السياسية هي المحرك الرئيسي لسياسة إيران تجاه سورية، غير أن المصالح الاقتصادية باتت تلعب دورا أكبر من أي وقت مضى ، وتشير بعض التحليلات إلى أن إيران منذ فترة طويلة تدعم النظام السوري بالنفط. هذا بالإضافة إلى ما أكدته وسائل الإعلام الرسمية في كلا البلدين أن إيران قدمت إلى سورية أكثر من 4 مليارات دولار على شكل ائتمان "ظاهريا" لتمويل شراء البنزين والمنتجات المرتبطة به[23] .ومع تصاعد الأزمة السورية توطدت الشراكة بين حزب الله وإيران وتُترجم هذه العلاقة الوثيقة إلى سياسات دعم على المستوى العسكري والمالي أيضا، حيث تفيد بعض التقارير إلى أن حجم المساعدات يتراوح بين 60 و200 مليون سنويا خلال العقد الماضي، وأخرى تبين أن الدعم السنوي يصل إلى 350 مليون دولار سنويا[24].

بعد أن دمرت الحرب قسماً كبيراً من البنية التحتية والقطاعات الإنتاجية السورية، قامت إيران، وبخلاف بقية دول المنطقة، بإبرام الكثير من اتفاقيات التعاون والعقود الاقتصادية مع الحكومة السورية من اجل إعادة تشييد تلك القطاعات. شمل ذلك مجالات الخدمات والبنية التحتية والكهرباء والصحة والمطاحن والمواد الغذائية والقطاع المالي. فضلاً عن القروض التي أبرمت في العام 2013 لتمويل المستوردات بشرط أن تأتي نسبة كبيرة منها من إيران وعبر شركات إيرانية. وقد أعفت دمشق في تموز من العام 2013 شركة إيرانية مختصة بتصدير المواد الغذائية من كل الرسوم والضرائب لدى دخول بضائعها إلى سورية.في العام 2012، شرعت كل من سورية وإيران بتطبيق اتفاقية التجارة الحرة وباتت السلع والمنتجات التي يجري تبادلها بين البلدين غير خاضعة للضريبة و التعرفة الجمركية. ساهم ذلك بارتفاع حجم التبادل التجاري بين البلدين من 280 مليون دولار في العام 2010، إلى مليار دولار في العام 2014، بنسبة نمو تقارب 260٪غضون أربعة أعوام،ولا يخفي الجانبين رغبتهما الكبيرة في الرقي بحجم المبادلات التجارية إلى ملياري دولار في العام 2015 منخلال تسيير خطين بحريين مباشرين بين إيران وسورية.قد لا يبدو حجم تبادل

تجاري بقيمة ملياري دولار كعامل مؤثر في مقاربة إيران للملف السوري وخصوصاً إذا ما قيس بأكثر من عشرة مليارات دولار هي حجم التبادل التجاري بين إيران والعراق على سبيل المثال. لكن النمو السريع للعلاقات التجارية بين البلدين وفي ظل حرب دموية يبقى أمراً لافتاً، إذ يذكرنا بمصالح طهران في سورية، وبحجم رهاناتها على اقتصاد البلاد بعد انتهاء الحرب، كما تبقى عين إيران على مرحلة ما بعد الحرب، وتحديداً على عملية إعادة الإعمار، حيث يوجد حالياً ملايين المنازل والمنشآت والبنى التحتية المدمرة في سورية، وسوف تكون إيران مستعدة للقيام بدورها[25] ، بالتالي ساندت إيران الاقتصاد السوري عبر شريان من ضخ الأموال إلى تزويد البقاع السورية بالنفط إلى إعادة تأهيل المنشآت الاقتصادية في الكثير من الجغرافية السورية[26] ،كما أكد السفير الإيراني في دمشق جواد ترك أبادي في العاشر من شباط 2018 أنّ بلاده ستقف إلى جانب سورية في مرحلة إعادة الإعمار وستكون شريكة لها وتقدم كل إمكاناتها لإعادة البناء حتى تعود سورية أفضل مما كانت عليه قبل الأزمة، وأن كل ما في بلاده سيكون مسخراً للأشقاء في سورية الذين امتزجت دماء ابنائنا بدماء أبنائهم، نظراً لوجود رغبة مشتركة بين شعبي وقيادتي البلدين في تمتين العلاقات التجارية والاقتصادية[27].

ثانياً:على المستوى الاستراتيجي:

إن ارتباط سورية وإيران بعلاقات مبدئية استراتيجية قوية ساهمت في وقف كل المخططات والدوائر الأمريكية الأوروبية التي تهدف إلى عزل إيران ومحاصرتها ونستنتج كذلك أن الحرب على سورية هي جزء من الصراع في المنطقة وعليها، ولذلك فإن العلاقات السورية الإيرانية في تكاملها أدت إلى وقف الأهداف الأمريكية وتعزيز موقف المقاومة الذي أدى إلى انهيار ما يدعى بالشرق الأوسط الجديد أو الربيع العربي[28].

ويرى مراقبون إن إيران بالتعاون مع أطراف عربية ودولية وفي مقدمتهم روسيا تسعي إلى إنهاء الأزمة في إطار سلمي من أجل الحفاظ على الجيش السوري، وعدم تحول سورية إلى صومال آخر، أو تكرار تجربة العراق المأساوية عقب الاحتلال

الأمريكي في 2003،كون بقاء الدولة السورية ومؤسساتها متماسكة، هو دعم للأمن القومي الإيراني، وسقوطها يمثل أبرز الخسائر على الصعيد السياسي والعسكري إيران، لذلك يسعي الغرب وحلفاؤه في المنطقة لإسقاط "دمشق" بذريعة دعم الديمقراطية والمطالب الشعبية، عبر الحل العسكري وربط محاربة داعش بإسقاط نظام الأسد، وهو المخطط الذي تتصدي له إيران، لذلك يقع علىعاتق إيرانياليوم أمام الوضع المؤلم في سورية أن تلعب دورها السياسي للتوصل إلى حل حقيقي لحقن الدماء، لأنها المؤهلة للقيام بهذا الدور[29].

ثامناً: إيران وسورية في خندق واحد:

منذ بداية الحرب على سورية دعمت إيران الدولة السورية على كافة الأصعدة، فالمعركة ضد سورية لا تستهدف سورية كنظام بقدر ما تستهدفها كمنظومة ممانعة، ولطالما أيضاً صرحت إيران أكثر من مرة أنها شريك في المواجهة القائمة وعنصر أساسي من عناصر الدعم والمساندة[30] ، فقد هدد وزير الدفاع الإيراني حسين دهقان بإرسال 600 ألف جندي إلى سورية إذا ما استمر الغرب وأتباعه في المنطقة بإرسال الإرهابيين إلى سورية، فأحداث سورية خلال السنوات الماضية، تؤكد أنّ معركة القصير شكلت نقطة التحول في الحرب[31] ، فقبل تحرير القصير بأيام كان الوضع صعباً وكانت المجموعات الإرهابية قد سيطرت على أجزاء كبيرة من الجغرافيا السورية وأصبحت دمشق في دائرة الخطر الحقيقي، فجاءت رافعة تحرير القصير لتشكل منعطفاً في الحرب وقد تبعتها معركة القلمون وباقي الحزام الغربي لدمشق ليعطي الوحدات العسكرية السورية أريحية في المواجهة بعد حماية ظهرها غرباً، لتبدأ بعدها عملية تحصين دمشق جنوباً ضمن آلية تعاون وتنسيق بين حزب الله والجيش السوري، لقد شكلت الأشهر التي تلت عملية تحرير القصير مساحة لتراكم الإنجازات العسكرية التي أسقطت أحلام الغرب وأتباعهم الإقليميين بإسقاط النظام في سورية، وإنشاء مناطق عازلة في الجنوب والشمال .

لقد كان الاندفاع الإيراني نحو سورية لمؤازرتها والوقوف إلى جانبها في كل المجالات هو الخيار الوحيد أمام إيران، فالقيادة الإيرانية أدركت جليا أن من أهداف

الهجوم على سورية تدمير الدولة الإيرانية ذاتها، فبعد سقوط سورية سيكون المحطة التالية إيران، وعليه فإنه يتوجب على إيران التدخل المباشر في سورية لحماية مؤسسات الدولة السورية من التفكك والانهيار،فإن حصل ذلك فإن محور المقاومة التي تشكل سورية رأس الحربة فيه، سيتصدع وستحصد إسرائيل ثمار هذا التصدع مباشرة وسيحاصر حزب الله في لبنان وسيتراجع دور المقاومة الفلسطينية وسيتوسع انتشار العصابات الإرهابية ليصل إلى الحدود الإيرانية، فعندما تشكلت جبهة النصرة الإرهابية وانفتاحها على إسرائيل وبدأت تتلقى المساعدات المباشرة من الكيان الصهيوني، تدخلت إيران وقدمت الدعم السياسي غير المشروط للدولة السورية وتأييد قراراتها ، بالإضافة الدعم العسكري الذي من الصعب تقدير حجم المساعدات العسكرية والقتالية المباشرة التي قدمتها إيران أو أسهمت وشاركت في الإمداد لها، ولا ننسى أن موقف إيران الداعم للموقف الروسي في سورية للطائرات الروسية وللصواريخ العابرة الروسية بالوصول إلى الجغرافية السورية وضرب قواعد الإرهاب كان له الأثر القوي في إسراع إسقاط داعش وأخواتهاوالانتصار عليها، وكذلك تقوية الموقف الروسي الضامن في أستانا من خلال التنسيق في التفاصيل والتطابق في الآراء والمواقف مما شكل ضماناً موثوقاً للمصالح السورية وأضعف في الوقت نفسه الموقف التركي والجماعات الإرهابية على طاولة المفاوضات في أستانا[32].

تاسعاً: إيران وسورية ومواجهة الإرهاب التكفيري:

تدعم إيران الدولة السورية منذ بداية الأزمة، وقد سبق أن وجهت إيران انتقادات قاسية للتحالف الدولي بمواجهة داعش، مشككة في جدواه وفاعليته، كما أصاب العلاقات الإيرانية التركية نوع من الفتور حيال الأزمة السورية حيث تصر طهران دعمها للأسد فيما تسير أنقرة باتجاه دعم الإرهاب[33] , والعمل على إسقاط الأسد الذي عدته بأنه "خطوة لا يمكن لها التراجع عنها"، أما روسيا فقد قادت هجوماً دبلوماسياً وسياسياً مركزاً باتجاه المنطقة، يمكنها من العودة القوية إليها من باب "محور المقاومة"، هذا الهجوم تجلى بطرح مبادرة حل سياسي في سورية متزامنة مع التزام قاطع بدعم عسكري مطلق لكل من سورية والعراق، وبتطوير العلاقة مع حزب

الله إلى حد التفاهم الذي يقود إلى تقديم الدعم في كافة المجالات المختلفة التي يحتاجها الحزب سياسياً على الصعيد الدولي، في الآونة الأخيرة حقق محور المقاومة وحلفاؤه ضربات استباقية مؤثرة وفاعلة في الميدان والسياسة، فصدمت أميركا وحلفاؤها بالنتائج التي حققها هذا المحور، وتأتي أهمية التنسيق بين هذه الدول لتسهل عملية محاربة الإرهاب التكفيري بكافة أنواعه.

بالتالي قدمت طهران دعماً عسكرياً كبيراً لسورية في حربها ضد الإرهاب التكفيري، ويمكن إيجاز هذا الدعم بما يلي:

- الدعم التقني والتدريب وتقديم المشورة.
-الدعم الإعلامي.
- الدعم العسكري للجيش السوري.
- الدعم المالي.[34].

عاشراً: إيران والأسلوب الأمثل لحل الأزمة السورية:

اليوم تملك إيران الدور المحوري في كل القضايا والأمور التي تحدث في المنطقة ولابد من وجودها ليكون هناك حل للمشاكل والأزمات التي تشهدها المنطقة، وخاصة فيما يتعلق بالأزمة السورية التي تعتبر أساس ومحرك الواقع المعاصر، فموقف إيران هو الأساس في إيجاد حل للأزمة السورية، إذ ترى إيران إنّ الأزمةالسورية لا يمكن حلها عسكرياً وتجد بأن الحل السياسي هوالحلالوحيد للخروج من هذه الأزمة[35] ،وفي إطار الدعم السياسي الإيراني لسورية، دعت طهران إلى لقاء تشاوري حول الأزمة السورية في 9 آب 2012 بمشاركة 30 دولة حيث أعلن وزير خارجية إيران وقتها علي أكبر صالحي أن إيران ستقدم مبادرة لحل الأزمة السورية سلمياً في مؤتمر دول عدم الانحياز، وأن طهران تجري اتصالات مع مصر للتشاور حول المبادرة وشروطها، وذلك كرد على سلسة المؤتمرات التي عقدتها الدول المعادية لسورية واجتماع مجموعة الاتصال الدولية في جنيف، وقد أبدت إيران استعدادها للمشاركة في أي حل سياسي للأزمة في سورية. بالإضافة إلى ماقدمته تحت ما يسمى "خارطة

الطريق" والتي اقترحت بواسطة الرئيس المصري الأسبق محمد مرسى بمشاركة السعودية وتركيا وإيران من أجل إيجاد مبادرة للحل في سورية.

وفي آذار 2014، عرضت إيران على الأخضر الإبراهيمي مبادرة جديدة تضمنت الإطار العام الذي تم الاتفاق عليه في مؤتمر جنيف 1 للسلام حول سورية، في شأن نقل السلطة بشكل سلمي بما يكفل حل الأزمة السورية حلّاً يمنع استنزاف الدولة السورية الذي يصب في مصلحة أصحاب المصالح من الدول الكبرى في المنطقة العربية ككل.

وتهدف إيران من خلال العمل على إيجاد حل سياسي للأزمة السورية إلى لعب دور إقليمي يؤهلها لتكون دولة بارزة إقليمياً ودولياً من خلال طرحها مبادرة للحل السياسي في سوريةتتألف من ست بنود[36] ، ونصحت دول المنطقة باتخاذ الحلول المناسبة بترك الشعب السوري هو من يقرر مصيره بنفسه عبر الانتخاباتوصناديق الاقتراع، في إطار ذلك فقد أعطى التحالف السوري الإيراني السوريين قوة إقليمية لصالح الدولة السورية وبدأ الجيش العربي السوري يستعيد زمام المبادرة ويستعيد الأراضي التي احتلت من قبل العصابات الإرهابية،حيث باتت إسرائيل وحلفاؤها تتحدث علناً على إنها تريد فك التحالف السوري الإيراني عبر مفاوضات مع دمشق بعد أن كان قادة إسرائيل ينظرون إلى سورية بأنها دولة ضعيفة، ولا تستحق النظر إليها وانه ليس لديها ما تقدمه، لذلك مكن الدعم الإيراني والعمق الذي منحته إيران لدمشق من التلويح أكثر من مرة بخيار عسكري ضد إسرائيل ، كما دفع بالإسرائيليين إلى التخوف من القدرة العسكرية المتنامية خصوصا بعد التجربة الإسرائيلية في جنوب لبنان مع حزب الله عام 2006 ، و العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة عام 2009 .

في هذا الإطار حذرت الخارجية الإيرانية من مغبة القيام بعمل عسكري ضد دمشق مؤكدة أن عواقبه لن تقف عند الحدود السورية وإنما ستبلغ ارتداداته كل المنطقة[37] ، جاء ذلك على لسان المتحدث باسم الخارجية الإيرانية عباس عراقجي، حيث شدد على أن ظروف المنطقة حساسة للغاية ولا تسمح باندلاع حرب جديدة،معربا عن أمله في عدم اتخاذ خطوات تسهم في تصعيد الأزمة بالمنطقة،

وأعتبر إن أي تدخل عسكري في سوريا سيخدم مصالح الكيان الإسرائيلي، وتابع بأن إيران تجري محادثات مكثفة لإعادة الأمور إلى نصابها واحتواء الأزمة بالمنطقة، وأن حلحلة الأزمة السورية لا تتم إلا عبر الحوار وعقد مؤتمر جنيف.

في نفس السياق إن حضور إيران على الساحة الإقليمية والدولية يشكل عنصر الاستقرار والأمن لذلك يقر الجميع بتأثير دور إيران الإيجابي في المنطقة [38] ، ويؤكدون أنه لا يمكن إرساء وتعزيز الأمن في المنطقة من دون مشاركة إيران في جميع الملفات العالقة، وأن دور إيران أساسي في حل كل الملفات الدولية والإقليمية، كما شهدت الفترة الماضية عدة مبادرات، روسية وإيرانية، لحل أزمة سورية، فيما شهدت المنطقة حراكاً دبلوماسياً تمثل في زيارة وزير الخارجية وليد المعلم إلى كل من عمان، وإيران، فيما زار وزير خارجية إيران ظريف دول على علاقة بالأزمة السورية أيضاً، تلك الجولات والمباحثات، قد تسهم في حلحلة الأزمة السورية.

في إطار ذلك ما زالت الدولة السورية بكل أركانها ورغم حرب الاستنزاف التي تستهدفها، قادرة أن تبرهن للجميع إنها حتى الآن مازالت قادرة على الصمود، والدليل على ذلك الانتصارات التي يحققها الجيش العربي السوري، والتي انعكستمؤخرآ بظهور حالة واسعة من التشرذم لقوى المعارضة المسلحة مما انعكس على تشظيها، ومن هنا نقرأ حالة التشرذم لهذه للقوى المسلحة، والتي يقابلها حالة صمود وصعود دراماتيكي لقوة الجيش العربي السوري على الأرض، فهذا التطور الملفت إن استمر من شأنه أن يضعف الجبهة الدولية الساعية إلى إسقاط الدولة السورية[39].

هنا لا بد من القول بأن القوى الغربية وبعض الدول العربية خسرت رهانها على إسقاط النظام السياسي فيسورية وإنهاك جيشها وتقسيمه على النحو الذي جرى في جيوش العراق وليبيا واليمن بفعل ثوراتها، بل على العكس فقد استمر تماسك الجيش السوري، و تطورت قدراته القتالية، وكانت صفقة الأسلحة الإيرانية الأخيرة إحدى مظاهر هذا التطوير، حيث دخلت سورية وإيران مرحلة بناء استراتيجية جديدة في المنطقة كون كل منهما يحتاج للآخر، فضلاً عن أن قوة العلاقة بينهما يعطي لأمريكا وحلفاؤها رسالة قوية بأن سورية لديها علاقة متنوعة مع الدول الكبرى[40].

الحادي عشر: البوادر التي تدل على قرب إنفراج الأزمة السورية:

تهيمن الأزمة السورية على المشهد السياسي في العالم، وتشهد عواصم دولية مختلفة حراكاً دبلوماسياً مكثفاً في محاولة للتوصل إلى حل للأزمة السورية، ومحاولات لا تنفي وجود خلافات جوهرية وأساسيةحول العديد من القضايا، وإن ساهمت هذه الخلافات بإطالة أمد الأزمة إلا أن الحراك المكثف مؤشر على اتفاق دولي على ضرورة التوصل إلى حل لهذه الأزمة، في إطار ذلك سأحاول الربط بين الأحداث المختلفة لنتتبع من خلالها البوادر التي تدل على قرب انفراج الأزمة السورية[41] ، وتتمثل تلك البوادر في السعي الحثيث الذي تبديه إيران للذهاب بالأزمة السورية تجاه خيارات الحل السلمي، ويمكن ترتيبها على النحو التالي:

–الاتصال الذي حصل بين الرئيسين الروسي والأمريكي وتأكيدهما على ايجاد حل سياسي للأزمة السورية بعد أن أدركت الأطراف المعادية لسورية صمود جبهة سورية بعد الدعم الذي حصلت عليه من قبل إيران.

–الغضب الناتج عن الهجمات التي نفذها تنظيم داعش في بعض الدول الأوروبية، وهذا يؤكد أن خطر الإرهاب قد يصل إلى الجميع بلا استثناء وبالتالي على الدول أن تتعاون فيما بينها من أجل إفشال مشروع داعش وتحقيق الأمن والاستقرار في سورية .

– تصريحات الخارجية التركية بأن تركيا مستعدة للعب دور فعال لإيقاف الحرب والخروج من الأزمة السورية، وتتمثل أهمية تلك التصريحات كونها تأتي إثر الزيارات التي قام بها المسئولين التركيين الى إيران.

– الموقف الأمريكي رغم إعلانه تقديم الدعم اللوجستي والاستخباراتي للمجموعات المسلحة في سورية، لكن طبيعة علاقته الجديدة مع الجانب الإيراني ستجعله يميل إلى بلورة حل سلمي للأزمة السورية بدلاً من تشجيع السير في خيار الحسم العسكري حتى النهاية، ويعتقد بأن الموقف الأوروبي سوف يسير في نفس الاتجاه، مدعوماً بالضغوطات الإيرانية –الروسي[42].

–أنّاتفاق الرؤى بين أمريكا وروسيا بوقف عملية إطلاق النار في سورية يمكن أن تشكل لبنة أساسية تبلور من خلالها القوى الداخلية والخارجية مبادرة كاملة لحل الأزمة السورية بصورة سلمية، والجلوس على دائرة المباحثات.

– الانتصارات التي تحققت على يد الجيش العربي السوري في بعض المناطق أفشلت جزءاً كبيراً من المشروع الذي أريد لهذه المنطقة، والخطوة الأخيرة من التعاون الأمني بين إيران وسورية أربكت مخططات من أراد تدمير سورية وأعطت رسالة واضحة بأن هناك من يتصدى لهذا المشروع المدمر ولن يسمح باستمراره، وهنا أدركت الأطراف الأخرى إن الهدف من إسقاط سورية قد فشل بفضل الدعم الإيراني والروسي وحلفاؤهم في المنطقة[43].

الثاني عشر: سيناريوهات حل الأزمة السورية:

يمكن توقع سيناريوهين لتطورات الأوضاع في سورية وهي:

أولاً: توصل الأطراف إلى حل وسط خلال المفاوضات في جنيف واستانا، وهو أمر غير مستبعد في ظل التفاهم الروسي الأمريكي بشأن الأزمة السورية ، ولعل الرهان على هذا السيناريو يبدو واعداً نظراً لتطورات الميدان وفقدان الأطراف الإقليمية لمعظم أوراقها الضاغطة فيما يتعلق بضعف المجموعات المسلحة والانهيارات الكبيرة التي يسجلها الميدان يومياً، إضافة إلى رغبة صريحة وجادة من قبل الدولة السورية للتوصل إلى حل سياسي يحقن الدماء والفرصة اليوم تبدو مثالية بالنسبة لها في ضوء ما سبق من تطورات للميدان لصالحها.

ثانياً: إحراز الجيش العربي السوري وحلفائه انتصاراً عسكرياً يقضي على الإرهاب ويعيد السيطرة على الدولة جغرافياً وعسكرياً وسياسياً [44] , وهو هدف أعلن عنه الرئيس بشار الأسد في مقابلته مع وكالة الصحافة الفرنسية ولكنه أشار بنفس الوقت أنه يحتاج إلى وقت طويل، ولعل ما يعزز هذا الاحتمال هو الاعتراف التدريجي للولايات المتحدة بسيادة روسيا فيما يتعلق بالملف السوري فضلاً عن الإصرار الروسي بالذهاب إلى أقصى ما يمكن الذهاب إليه في هذا المجال وهو ما يظهر جلياً في استخدامها لأحدث الأسلحة ووضع إمكاناتها العسكرية بشكل شبه كامل في هذا

الملف، ويضاف إلى ذلك ما تحقق ميدانياً في مختلف المدن السورية، والتقدم الحاصل في ريف درعا والسويداء والذي يتجه نحو إغلاق الحدود الأردنية ولعل ذلك يجعل الأمور أكثر جدية في إطار تحقيق الانتصار العسكري.

بمراجعة السيناريوهات السابقة يبدو المشهد السوري على الرغم من التعقيدات الكثيرة التي تكتنفه ذاهباً ربما نحو سيناريو يجمع بين السيناريوهين الأول والثاني فمنطق الأمور يقول بأن هناك مماطلة وتأجيل للحل السياسي وليس إلغاءً بالكامل وهذا التأجيل يعطي الجيش العربي السوري وحلفائه الوقت الكافي للمضي في استراتيجيته العسكرية المتمثلة بالقضاء الكامل على الإرهاب، في إطار ذلك أعتقد بالحل "السوري–السوري" وجلوس الأطراف المعنية بالتطورات السورية على طاولة الحوار للخروج من الأزمة التي تعصف بهذا البلد، كما وإن الدول العربية تيقّنت بأنه لا يوجد حل للازمة السورية سوى السبل الدبلوماسية والسلمية.

مجملاً... أن اللقاءات الدولية والإقليمية حول الأزمة السورية تشير الى وجود خطة معينة سيتم منخلالها التعاون مع النظام السوري بالقضاء على الإرهاب[45] ، وبمشاركة جميع الأطراف كلاً حسب دوره، لذلك سنتوقع في الأسابيع المقبلة أن يكون هناك تحول كبير بالساحة السورية وتطورات كبيرة تعمل على تضييق الأزمة السورية، كما أن هناك بعض الدول على رأسها السعودية وتركيا ستخسررهانها بالحرب على السورية ويعود ذلك على أن المعارضة أبدت تراخي ومرونة بالقبول بالحلول السياسية، كون الجميع بشكل عام تعب من هذه الحرب ويريدون الخروج من هذا الوضع المتأزم والمعقد بأي شكل من الأشكال بعد قناعتهما وإدراكهما بأن هناك أطراف خارجية تريد أن تحقق مصالها على حساب الشعب السوري، أما المجموعات المتطرفة تشير الأحداث والوقائع الميدانية بأن دورها سينحسر ويتشتت، وقد قدمت مراكز بحث غربية متخصصة تقريراً يؤكد انهيار القوى المتطرفة في سورية والمدعومة من دول مختلفة، كما أكد التقرير بأن هناك أعداداً من الإرهابيين من جنسيات أوروبية وأمريكية يبحثون عن طرق للهرب والعودة الى بلادهم، ومنهم من وصل بالفعل الى دول مجاورة لسورية[46] .

الخاتمة :

للعلاقات السورية الإيرانية خصوصيتها وأهميتها في الدور الذي لعبته في الحرب على سورية ومحاصرتهاحيث يرتبط البلدان بعلاقات سياسية وثيقة واستراتيجية منذ قيام الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979 , و يواصلان العمل بدأب لترقية العلاقات الاقتصادية والثقافية والعلمية كي تواكب مسار العلاقات السياسية القائمة بينهما .

أدركت إيران منذ بدء الأزمة في سورية، أن الهدف من هذه الأزمة تدمير سورية وإجهاض دورها على الساحة العربية والإقليمية والدولية، وتقسيمها الى دويلات طائفية وحتى مذهبية، وأن هذا الهدف يدخل في صلب الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، فبعد مرور أكثر من سبعة سنوات من الأزمة السورية، لا زال خيار إيران بحماية الشرعية السورية ثابت ولن يشهد تراجعاً، بذلك فإن استمرار إيران في دعمها للدولة السورية لم تتغير منذ بداية الأزمة، بل ازدادت وضوحاً في مراحل متعددة، وأبلغت واشنطن إناستهدافسورية خطاً أحمر بالنسبة لإيران.

كما أثبتت وقائع الأزمة ومساراتها، إن إيران حليف استراتيجي حقيقي لسورية، وصاحبة وزن ودور إقليمي كبير ومؤثر في المنطقة وفي مسارات الأزمة السورية، كما أثبتت تماسك الحلف الاستراتيجي المشترك بين الدولة السورية وحلفائها، وفي المقدمة إيران وروسيا والصين وغيرها من الدول الصديقة، كما أثبتت أن هذا التحالف ومن خلال ما قدمه من دعم كبير للدولة السورية أستطاع أن يفتح الطريقلإنهاء الأزمة، وتراجع المشروع الأخر المدعوم غربيا وإقليمياً.

إن التحالف الاستراتيجي بين سورية وإيران قائم على قاعدة القضاء على التهديد الأمني المشترك من جانب إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وأدواتها مثل تنظيم داعش وأخواتها, و طالما إن هذا التهديد قائم سيظل هذا التحالف قائما وقوياً، وبناءً على ذلك فان إيران مصدر دعم سياسي وأمني و اقتصادي ولوجستي لسورية في قضايا منطقة الشرق الأوسط الحساسة .

الموقف الإيراني يتطابق كليا مع الموقف السوري من الأزمة ومن هنا نجد أن الانخراط الإيراني في الأزمة السورية جاء في مجمل المجالات الاقتصادية والعسكرية

والسياسية، لذلك نرى أن الدور الإيراني فرص الاستمرار والنمو لما فيه مصلحة الدولتين والشعبين ولمصلحة محور المقاومة وشعوب المنطقة في محاربتها للقوى الاستعمارية، وستثبت عملية إعادة الاعمار في سورية أن لإيران نصيباً رائداً يتوافق مع إمكانياتها وطموحات الشعبين ستترسخ في الميدان استراتيجية التعاون المتكامل بين الدولتين في كل المجالات.

المراجع :

1- عيسى درويش، العلاقة السورية الإيرانية خلال الحرب على سورية،دمشق، دار الكنانة،المجلد الثاني،2018، ص230.

2- غالب قنديل، 36 عاماً من التحالف السوري الإيراني، صحيفة الوفاق، العدد 69230، 16 شباط 2015

3- خيام محمد الزعبي, المصالح المشتركة و الغير مشتركة بين سورية و إيران من منظور استراتيجي , مختارات إيرانية , العدد, 106, 2009, ص112

4- جريدة الثورة السورية ، سورية وإيران علاقة استراتيجية 12-6-2013.

5- عماد البنطجي ، العلاقات السورية الإيرانية ومستقبل المفاوضات الإسرائيلية . Http://alhewar.org/debat/show>artasp?aid=138591.

6- رعد خالد نفوج ، أبعاد صنع القرار السياسي في إيران مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط 14 نوفمبر 2015.

7- محمد حرشي ،السياسة الخارجية الإيرانية... مبادئ وإنجازات، جريدة الأخبار، العدد،2810، 11 شباط 2016.

8 - خيام محمد الزعبي, المصالح المشتركة و الغير مشتركة بين سورية و إيران من منظور استراتيجي, مرجع سابق ,ص 113

9-أشواق عباس , العلاقات السورية الإيرانية:

Http://alhewar.org/debat/show.artasp?aid=156442.

10–خيام محمد الزعبي , , الرؤية السورية للحرب الإسرائيلية على غزة عام 2009 , ورقة مقدمة الى المؤتمر الدولي حول غزة عبر العصور , المنعقد في كلية الآداب, قسم التاريخ ,جامعة القاهرة ,المنعقد في الفترة 28 –29 ابريل 2009.

11– احمد دياب , سورية و العراق و ايران, هل تحالف جديد, السياسة الدولية , العدد ,131 , 1998 , ص234.

12– جريدة الثورة السورية , 15 – 11 – 2007 .

13– خيام محمد الزعبي , العلاقات السورية الأمريكية بين التأزم و الانفراج , مجلة القدس , العدد , 129 , 2009 , ص49 .

14– خيام محمد الزعبي , السياسة الخارجية السورية ,بين الثابت و المتغير , السياسة الدولية , العدد ,178, 2009, ص172.

15 – خيام محمد الزعبي , جدلية المصالح و الأهداف الاستراتيجي للصهيو أمريكية في فلسطين و السودان , مختارات إسرائيلية , العدد , 177 , 2009 , ص137 .

16– الشرق الاوسط , 30 سبتمبر 2009 .

17 – أشواق عباس , مرجع سابق .

18 – خيام محمد الزعبي, المصالح المشتركة و الغير مشتركة بين سورية و إيران من منظور استراتيجي , مرجع سابق ,ص114.

19– وحدة العلاقات السياسية الإقليمية، احتواء الخلافات: كيف تتعامل إيران مع جهود تسوية الأزمة السورية؟، السنة الرابعة، العدد 402، 25 نوفمبر 2015.

20– الدور الإيراني في الازمة السورية، 11مايو2014
https://www.alarabiya.net/servlet/aa/pdf/07e0b1f4-8b18-4527-9e85-dff24dd1db6b

21- PrimozManfreda, Why Iran Supports the Syrian Regime
http://middleeast.about.com/od/iran/tp/Why-Iran-Supports-The-Syrian-Regime.htm

22- شهرمأكبرزاده، لماذا لا يزال آيات الله يدعمون الأسد؟، سبتمبر 2014.
http://www.noonpost.net/content/3676

23- كريم سجادبور، إيران حليف سورية الإقليمي الوحيد، مركز كارنيجي لدراسات الشرق الأوسط، يونيو 2014

24-فاطمة الصمادي، لماذا تواصل إيران المأزومة اقتصاديًا دعم حلفائها؟، مركز الجزيرة للدراسات، 22 فبراير 2015.
http://studies.aljazeera.net/reports/2015/02/2015218999779800.ht

25- سلام السعدي، مصالح إيران تترسخ في سوريا، صدى، مركز الشرق الأوسط، 2حزيران 2015 .

26- تيسير رمضان إيران تكتب ملحمة العدالة مرة أخرى فوق التراب السوري الطهور، دمشق، مكتبة الكنانة، المجلد الثاني،2018،ص121.

27- تشرين - أبادي: إيران إلى جانب سورية في مرحلة إعادة الإعمار، على الرابط:
https://googl/SUkutR

28-عبدالله الشاهر،العلاقات السورية الإيرانية، دمشق، مطبعة الكنانة،2018،ص183.

29- صحيفة الحياة، تركيا وإيران في سباق لإيجاد حل للأزمة في سوريا.
http://www.al-akhbar.com/node/173850

30- إيران تؤكد على دعم سوريا بالعتاد العسكري والتقني، 16-9-2015
http://arabic.sputniknews.com/arab_world/20150916/1015635240.html

31- حسن غندور، هل ترسل ايران 600 الف جندي الى سوريا ؟، بيروت برس، 9أيلول 2015.
http://beirutpress.net/article/169274/

32- ابراهيم سعيد،أهمية الدور الإيراني في سورية،دمشق، الكنانة، 2018،ص30.

33- عبد الكريم عنكير،العلاقات الإيرانية-التركية : نقاط الاتفاق والاختلاف (الحالة السورية) نموذجاً، مركز المزماة للدراسات والبحوث، 8سبتمبر 2014.

34- حول التنسيق بين إيران وسوريا وروسيا في محاربة داعش، قناة العالم، 9ديسمبر 2014

http://www.alalam.ir/news/1656335

35- ضرورة الحل السياسي ، جريدة الثورة السورية، 12-6-2013.

36- فيصل المقداد، "**المبادرة الإيرانية لحل الأزمة السورية**"، على الرابط:

www.aljazeera.net

37- كيف ترى طهران الأمثل لحل الأزمة السورية؟، قناة العالم، 27أغسطس 2013.

http://www.alalam.ir/news/1510129

38- لاريجاني: ايران تشكل عنصر الاستقرار والأمن في المنطقة،وكالة أنباء فارس، 11 شباط 2016

http://ar.farsnews.com/iran/news/13941122000936

39- هشام الهبيشان ، هل ستصمد سورية أمام غزوة واشنطن وحلفائها ألاخيرة ؟

http://www.aliraqtimes.com/ar/print/47723.html

40- قناة المنار، من يدفع ثمن فشل إسقاط الأسد ، 13-10-2013.

http://archive.almanar.com.lb/article.php?id=618319

41-الأزمة السورية: ما الذي يقف وراء الجهود الدبلوماسية الجديدة؟،bbc، 17 أغسطس 2015

http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/08/150816_syria_conflist_diplomatic_push

42- قناة روسيا اليوم، النص الكامل للاتفاق المشترك الروسي - الأمريكي لوقف إطلاق النار في سوريا، 23-2-2016.

https://arabic.rt.com/news/812238

43- حوار مع الخبير العسكري والاستراتيجي الدكتور حسن حسن،المزيد:

http://arabic.sputniknews.com/arabic.ruvr.ru/2014_04_17/271343905/

44- محمد سكر،تطورات الميدان السوري والاستعداد للمعركة الكبرى"تحرير حلب"، البديل،12 أبريل 2016.

http://elbadil.com/2016/04/12

45- أشرف السعيد، تداعيات خطيرة للأزمة السورية على دول الخليج، صحيفة الأيام، 29 ديسمبر 2015.

http://alay.am/9CDMr0

46- تقرير حول هروب جماعي لمسلحي "داعش" من سوريا باتجاه الأراضي الأردنية،قناة روسيا اليوم، 5-10-2015.

https://arabic.rt.com/news/795939

Iranian Foreign Policy Towards the Syrian Crisis 2011-2018

Summary:

Iranian relations are seen as a role model for the region, where the two countries have close political and strategic relations since the Islamic Revolution in 1979.

They continue to work diligently to promote economic, cultural and scientific relations to keep the political relations between them.

With the beginning of the Syrian Crisis, the relations of the two countries reached a strategic depth as a result of the Iranian political, military, and economic support of the Syrian government in its war against the armed terrorist organizations.

The decisive and supportive political position that Iran stands with Syria is unchanged and has not changed since the beginning of the Syrian Crisis.

Iran has used all its relations in all political, diplomatic, economic and at all levels to strengthen this position and its establishment.

Key words : foreign policy - Middle East - Crisis -role - alliance.